البعد الأخلاقي واللامنطقي في فلسفة جاك دريدا: رؤية في أنثروبولوجية الفلسفة المعاصرة

د.بن ديدة مخطار*

يعتبر جاك دريدا من رواد الفلسفة المعاصرة، والتفكيكية الجديدة التي بيّن فيها، فلسفة النقد الأدبي، وأصوله الفلسفية، ومواقفه السياسية، وحتى بعده الأنثروبولوجي، خاصة في البدايات الأولى للتفكيكية التقويضية التي انطلقت من كتاباته ومحاضراته التي فتحت أفاق الفكر ما بعد الحداثي، والتي دشّنت في الوقت نفسه حركة ما بعد البنيوية من خلال ثلاثيته التي شكلت نظريته المنسقة في أبعادها المتجاورة، مما جعله رائد المدرسة التفكيكية. حيث استطاع أن ينسج في شكل بناء كامل بين ما هو سياسي اجتماعي، وما هو نظري فلسفي، رغم أنه قد يدعو إلى تجاوز فكرة البناء والنسقية[2]، حينما يكتب عن الكلام والكتابة، ويرفض التكلم والكلام عنهما معًا في مجال الفن، والنقد الأدبي، الذي هو بدوره يمثل لدى هذا الفيلسوف والناقد الأدبي البنية الصورية اللاشعورية التي جاء بها الأنثروبولوجي «كلود لفي شتراوس[3]» في كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية[4].

*- جامعة سيدي بلعباس.

Abstract : This rationalistic paradox let him change from a tolerant philosopher to an insistent one. But the question is what to insist on? How to be tolerant? And whom does one tolerate? It is the insistence based on the necessary commitment, more the dogmatic attachment to a given cultural conduct and to a given critical approach; hence Derrida's political and social commitment interacts with his "commitment to the deconstructive approach". In sum he conceived that the difference is a natural conception and the coalition is cultural. Still he was attached to the essence centered rationalism but the essence meant here is different from the philosophically classical cognitive one (scientist).It is the anthropological and cultural one indicating one's (thinker) way of living and illuminating one's (thinker) way of thinking or frame of mind. Thus Derrida was manifestly attracted to the narrative writings, .i.e. both the palpable culture of his literary critique in his philosophical theorization and the palpable philosophical theory of tolerance in his political conduct marked him, and so did his constructive and courageous positions.

Keywords: Ethical value – ilogical analysis – Language deconstruction – Deconstructionism language – Behaviour dogmatism – Myth and Monologue

2 لقد عمل دريدا جاهدا على انتقاد وهدم الفكر البنيوي الفلسفي بفلسفته التفكيكية غير انه سقط في بنيوية لفي شتراوس الانثروبولوجية. ارجع إلى:

Jacque Derrida « La dissémination » et voir aussi Marc Goldschmit «Jacque Derrida une introduction »

3 ممثل البنيوية الصورية، أهم كتبه الانثروبولوجية البنيوية وهو الذي تكلم فيه عن مصطلح اللاشعور البنيوي وهو يستخدم المنهج البنيوي الصوري، وكذالك كتاب الفكر المتوحش، راجع كذالك:

Gilbert Durand Les Structures anthropologiques de l›imaginaire, Paris, Dunod (1re édition Paris, P.U.F 1960.

4 المرجع نفسه.

ولعلّ قراءة سريعة في فكر جاك دريدا، ستضيء الطريق أمام القارئ للغوص في معالم هذا المنهج الغامض، وفك رموز هذه الإشارة، المتمثلة في المدرسة الما بعد حداثية، فدريدا يمثل حالة ثقافية اغترفت من مناهل الفلسفة الغربية من أفلاطون حتى هيجل، غير أن حقيقة الأمر ترجع إلى ذالك الرأي المناهض للعقلانية الميثالية، والقيم النفعية الأخلاقية، بل أن فيلسوفنا جاك دريدا جازف وتجاوز الحدود عند محاولة تقويض العقل الغربي نفسه في آلياته الأساسية، فالتفكيك كما يراه دريدا هو نقد لإديولوجيا التمركز الغربي حول الذات، ومن هنا، فقد اعتبر دريدا الثقافة الغربية متمركزة حول العقل والصوت والذات (المطمئنة لذاتها).

إلى جانب ما يعرفُ عن جاك دريدا، أنّه فيلسوف الصداقة، والتسامح، والمصالحة، فلا يخفى عنَّا أيضاً، أنَّ تفكيره يرتدُّ إلى فلسفة ذات أصولٍ أنثروبولوجية، اتجاه غيره باعتباره ملتزما للتأويل اللاأحادي من جهة، ولاستخدامه في عملية التأويل منهج «التفكيك الضروري والاضطراري» من جهة أخرى؛ ذالك هو الأصل الأنثروبولوجي الأول في فلسفته. أما الأصل الثاني الذي يمكن اعتباره نتيجة محتملة وليست ضرورية: يتمثل في « دوغمائية التمسك» بالأصول الثقافية التي صنعت طريقة تفكيره المرتكزة أساسا على التأويل عن طريق التفكيك[1]، والبحث في ما يجب أن يكون لا في ما هو كائن... حيث يبدو، وكأنه فيلسوف من نوع خاص، فيظهر وكأنه مراوغ في لغته، ولكن تحكمه الدقة المتناهية في فهم المصطلحات والوعي بالمفاهيم[2].

فالموضوعات التي عالجها جاك دريدا مثل: النص؛ الكتابة؛ الاختلاف، تهدف إلى الأكسيوماتيك المنفتح بالمفهوم الإبستيمولوجي، أي القابل للتغيرات الطارئة والكتابات الجديدة والقراءات المتجددة، التي تفتح أفق الفهم، وتحرر الفكر الجامد القائم على الأحكام المسبقة والقيمية والتأويل الخاطئ للمقدس والنصوص الدينية، وباعتبارها ناتجة عن فكرة الهدم الهيدجيري ومفهوم التفرقة الفرويدي، خاصة في هذه البدايات الأولى لكتاباته التي أسست لمنهجه الفلسفي المسمى بالتفكيك، والذي يشبه إلى حد كبير البعثرة ومحاولة إعادة التركيب من جديد[3]. ويرى العديد من دارسيه، أنه أثبث وجوده عندما جمع الأقطاب الثلاثة، وهي: الأدب والفلسفة والسياسة، حيث لا تنفصل عنده إلا بالوهم[4]، وكذا لثقافته التي شكلت تكوينه انثروبو-فلسفي بالمفهوم المعاصر لفلسفتة الانتقالية من «فلسفة إنسان العلم إلى علم الإنسان الفلسفي» *de la philosophie de l'homme de science a l'anthropologie philosophique*

1 عبد الوهاب المسيري والدكتور فتحي التركي (مؤلف مشترك) المرجع سبق ذكره، ص: 113

2 سيّار الجميل ديريدا رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة --نشر هذا المقال في الموقع لمناسبة رحيل فيلسوف النقد الادبي جاك دريدا وارجع كذالك الى «الدكتور مراد قواسمي» دريدا قلق السيرة الذاتية مجلة اللغوس العدد التجريبي سنة 2011 ص: 177

3 - بالنسبة لدريدا فانه ليست ثمة فكرة لا يمكن اعادة التفكير فيها، وليس من قول لا يمكن ان يقال من جديد. حتى التفكيك نفسه يجب ان يفكك. وللمزيد من التفاصيل ارجع الى: «ريتشارد كيرني» في كتابه –جدل العقل- حوار آخر القرن، ت: الياس فركوح وحنان شرايخة. المركز الثقافي العربي . دار البيضاء المغرب ط،1 سنة 2005 ص: 161 162 163 ...

4 ستار الجميل، مرجع نفسه.ص: 2

ولذالك، كان تساؤلنا في البداية عن إمكانية التمييز بين جاك دريدا الفيلسوف الممنهج الذي وقف في وجه البنيويين للتعبير عن عصر جديد، عصر ما بعد الحداثة، في حين لم يستطع التخلص من النسقية في حياته والبنيوية في ثقافته؛ خاصة عندما جمع بين مباحث: الأدب والفلسفة والسياسية، ووضع قانون الاستضافة، والالتزام بالسياسة، وفكرة التسامح الفعلي، وكما أكد بعض النقاد الذين يعتقدون أن التفكيك الذي جاء به دريدا يعد شكلا من أشكال الانتقال من فلسفة التمركز العقلي إلى التمركز اللغوي[1]..

أما المفارقة الثانية، فهي تتمثل في كيفية تأثير سلوكه الإنساني في طريقة تفكيره (الالتزام، التسامح)، وكذالك العكس، والمتمثل في تأثير نظريته في المعرفة على حياته كإنسان؟ وهذا الجدل المنطقي جعله ينتقل من فيلسوف **التسامح** الى فيلسوف التمسك[2]، ويتحوّل من التـــزام السلوك السياسي إلى التزام المنهج التفكيكي، ومن ثقافة الاختلاف الطبيعي إلى عقلية الائتلاف الثقافي[3]، حيث سقط في عقلانية اللوغوس والتمركز نحو الذات التي تميزت بها الفلسفات السابقة، بمعنى حضور ثقافة النقد الأدبي في التنظير الفلسفي، وحضور اللاشعور السياسي في التفسير الانثروبولوجي لفعل التسامح ومعنى الضيافة، والائتلاف في طبيعة الكلام وعلم الكتابة[4].

وبالتالي، فهل يمكن القول إنه أراد من فلسفته أن يعبر عن موقفه باعتباره مرتبطا دائما بتاريخـه وتراكماتــه الثقافيــة، فانتقل إلى التزامه السياسي ومواقفه الشجاعة التي حوّلت فلسفته وشكّلت كتاباته ونصوصه على الشكل المونولوجي الذي لم يستطع فيه أن يتخلص من الطابع الاسطوري[5]؟

من البنيــة الى التفكيـك:

لنتأمل هذا الفاصل الفلسفي لِ جاك دريدا: «إذا كان التفكيك مدمر حقا.. فليدمر ما شاء من الأبنية القديمة المشوهة من أجل أن نعيد البناء من جديد..»، فلا يحس بقيمة التفكيك الاّ المبدعون في إعادة البناء[6].

لقد أنشئت التفكيكية على أنقاض البنيوية، وهي تمثل جانبا مخيفا من جوانب فوضى النقد المعاصر في اوائل التسعينات من القرن الماضي، فهي بهذا المعنى امتداد للبنيوية من جهة؛ وهدم لها في الوقت ذاته

1 ستار الجميل مرجع سبق ذكره، ص: 3

2 لقد تمسك جاك دريدا الفيلسوف الملتزم بالتسامح باصوله الانثروبولوجية، كما تمسك بمنهجه التفكيكي واصبحت علاقة التاثير والتاثر جدلية بين نهجه في الحياة الذي طبقه في التزامه السياسي والاخلاقي ومنهجه الفلسفي الذي حاول تطبيقه في النقد الادبي وفلسفة اللغة...

3 الاحالة نفسها.

4 علينا ان نفرق بين ما هو طبيعي المتمثل في الاختلاف، وما هو ثقافي يظهر في الاتفاق والائتلاف وللمزيد من التفاصيل، ارجع إلى: ‹علي حرب»في كتابه نقد الحقيقة – المركز الثقافي العربي، بيروت – ط،1 سنة 1993.

5 يعني دريدا يفكر ويتكلم مع نفسه فقط، لأنه في مرحلة مونولوج حيث لا تتم البرهنة على اي شيئ لانه لا تتم مناقشة اي شيئ اذ يغيب الرأي المضاد والمختلف في هذه المرحلة (كوجيف) اي مرحلة التقويض التشتيت والانتشار والتبعثر، ارجع إلى: أكسيل هونيث في كتابه التشيؤ- ت ت كمال بونير الجزائر ط1: .سنة 2013..في فصل الاعتراف ص: ،61 وما قبلها. وكذالك إلى: مراد قواسمي. مرجع سبق ذكره...

6 جاك دريدا –الكتابة والاختلاف- ترجمة: كاظم جهاد، توبقال . ط الاولى المغرب 1988

من جهة أخرى، حيث شبِّهت من طرف بعض المعارضين لها بانها كرنفال تخضع الحياة لقوانينها فقط ولا حياة خارج هذا الكرنفال، أي خارج هذه القوانين، وراح آخرون يفسرونها بالبحث في اللامعقول، بينما أعطاها بعض المفكرين صورة العمى، وحتى دريدا يصفها بالجنون، وهي بهذا المعنى توحي لنا بفكرة إعادة تاسيس اللوغوس بشكل غير منطقي، ولعل هذه الشمعة التي تهدف إلى انتشار النور في الغرفة المظلمة الواسعة إلا على نفسها أو على ما حولها من قريب، إن صح التعبير، إن لم نقل أنها زرعت الظلام أكثر من زرعها للنور، بحيث دفعت المناصرين لها بالسير في الظلام، وذالك بإشارتها الخضراء، ولقد شبه المفكك بما يحكيه مجنون مستعمل للغة متمردة يؤسسها ليقوِّض عالماً آخر بكل عماراته التي تأسست على مركزية «العقل» في كافة ميادين الكتابة[1]. وهذا ما دفع بجاك دريدا لأن يكتب من عمق جنونه، هوية لا تشبه الثوابت، وكتابة لا تشبه العهود. لقد نُعِتَ جاك دريدا منذ سنوات خلت بشتى التهم الخطيرة التي تجعله على هامش الأخلاق، ويسعده ذلك جدا لأنه يفهم بأن منهجه هو الوحيد الذي يفكك، ولكن مناهج غيره لا يمكنها أن تفككه هو ذاته! وبالتالي، فإن ظهور التفكيكية مرتبط بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية مرّت بها الحياة الغربية في هذه الحقبة التاريخية والتي شكلت المحيط «الجيو-ثقافي» لهذه الفلسفة: فلسفة الأنا المتعالي، وهيمنة فلسفة العقل الأداتي والقائمة على ثقافة التمركز والمطلق [2]، والتي ستحاول إزالتها الفلسفة التفكيكية وتستبدلها بمفاهيم النسبية والتشتيت وعدم اليقين المتمثل في نقد التوابث والمراوغة في اللغة والدقة المتناهية في فهم المصطلحات والوعي الكامل بالمفاهيم والبعثرة ومحاولة إعادة التركيب من جديد، فهو يبدو وكأنه فيلسوف من نوع خاص.

وخلاصة الرؤية لهذه الخصوصية الفلسفية التي ولدت النظرية التفكيكية تتمثل في أن هذه النظرية تقوم على فلسفة التشكيك في العلاقة بين الدال والمدلول، أين نجد العقل يستطيع بشكل ما التخلص من اللغة .كما أنه يوحي بغياب المركز الثابت للنص، بمعنى أنه أسس لنصوص فلسفية غامضة تتعدى التصنيف، والنقد فيها يقوم على الشك الفلسفي القائم بدوره على رفض الثوابت والتقاليد، هذه الخصوصية المتأرجحة بين التفكيك البنيوي وبنيويـة التفكيك.

من القارئ النموذجي الى الكاتب المونولوجي:

إن النقد التفكيكي عبارة عن مقاربة فلسفية للنصوص أكثر منه مقاربة أدبية، أو يمكن اعتباره منهجاً فلسفيًا في القراءة الأدبية أو اتجاهًا من اتجاهات التلقي. أما نظرية التفكيك هي محاولة إعطاء تأويلات مختلفة لنصوص شبه المجهولة[3]، وخاصة من خلال هذا القارئ الذي يتمتع بقدرات عالية، وهو ما نسميه

1 أنظر.فطوس (بسام): المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط1، دار الوفاء لدنيا الطبع، الإسكندرية، 2006

2 كمال بومنير قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانك فورت-الجزائر، ط1 السنة 2012 ص:36/33 وللمزيد من التفاصيل راجع كذالك «كارل أوتو آبل» في كتابه التفكير مع هابرماز ضد هابرماز ت ت عمر مهيبل منشورات الاختلاف ط1 سنة 2005 ص: 43 وما بعدها.

3 المرجع نفسه ارجع كذالك الى غراندل (جان): المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: د.عمار مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، 2007

بالقارئ النمودجي، لأن هذا القارئ الناقد القائم على الشك الفلسفي[1]، والقائم على رفض البديهيات والأفكار المطلقة، والتفكيك بهذا المعنى، هو تفكيك كل خطاب جاهز ومكتمل، حيث يتزعزع ويتخلخل النص، وتنكشف جذوره ،ويصبح المعنى ليس معطى جاهزاً، أي أنه غير حاضر في الإشارة اللغوية إذا اعتبرنا أن الفلسفة هي الوعاء المناسب للعقل والمنطق. وتفكيكية فيلسوفنا تعمل على تقويض وتفكيك الفكرة السائدة حول الميتافزيقا، وخاصة ميتافيزيقا الذات، وهذا يظهر جليا في نصوص جاك دريدا عند ما يتكلم عن مفاهيم مثل (الكلام، الكتابة، الحضور والغياب...الخ). ويحاكم جاك دريدا هده المفاضلة بين المتكلم والكاتب من جهة، والتفكيكية من جهة أخرى مليئة بالمصطلحات الفلسفية الغامضة، كمفهومي الإرجاء والانتشار؛ الأول ينشأ عن اختلاف الدوال والتداخل بينها، أما الثاني يدل على أن المعنى بسبب غياب مركزية النص والعلاقة اليقينية بين الدال والمدلول يبقى مؤجلاً ومرجًا ومتناثرًا ومنتشراً.

أهمية الكتابة والانفتاح عن الممكن:

أكدت التفكيكية على لسان دريدا، أهمية الكتابة، وجعلتها أهم من الصوت، وهي البديل عن الكلام، لأن هذا الكلام يحتكر سلطة الخطاب، وإعطاء هده السلطة للمتكلم. أما الكتابة، فهي تمنح النص تأويلات متعددة وتُغيِّب المتكلم، وتعطي المكانة للقارئ، هذا القارئ الحاضر الذي يعتبر هو المغيب للمعنى أو لمدلول إشارة اللغة، ويصبح كل دال غير موجود بشكل كامل في أي لحظة، فهو دائما غائب رغم حضوره، وهكذا فإن الاختلاف عكس الحضور، وهذا ما يعطي للكتابة صيرورة البقاء بغياب المنتج الأول، في حين يتعذر ذالك بالنسبة للكلام، والنتيجة تنطوي على أن التراث الأوروبي في ضوء المنطلقات التفكيكية يمتاز بالانفتاح على التأويل اللانهائي، وهنا نقترب من مفهوم التمركز حول العقل، والذي يعني أن اللغة تمثل بنية من الإحالات اللانهائية التي يشير فيها كل نص إلى النصوص الأخرى بمعنى التناص، وكل علامة إلى العلامات الأخرى.

فكرة الحضور والغياب ولامركزية المعنى:

تناول جاك دريدا أراء اللساني دي سوسير في اللغة، وأعتبر الحضور الذاتي والتمركز الصوتي، هما مكونات الميتافزيقا الغربية التي تعمل على تأكيد طبيعة الأولوية للكلام، وأكد أن الدال في اللغة هو الذي يمثل الحضور بينما يمثل المدلول حالة الغياب ويكون دور القارئ هو استدعاء هدا الغائب المتشكل في التصور الذهني. وإذا كانت التفكيكية تشكك في العلاقة بين الدال والمدلول، فإن المعنى سيصبح في حالة غياب دائمة، ولا تستطيع أية قراءة أن تزعم أنها سيطرت على المعنى أو بلغت مركزية المعنى.

وفي مقابل النقاد، يرى جاك دريدا أن لا حدود فاصلة بين لغة الأدب وكلام اللغة، وأن تشكيلات الكلام بأنواعها هي التي تنتج أنواعا مختلفة من التناقض الظاهر .

---

1 المرجع نفسه

التفكيك والدوغمائية: بين أخلاق الاستضافة والوعظ بالتسامح

يميز فيلسوفنا، بين نوعين من التسامح، كما يعطي لنا معنيين للضيافة، فالتسامح عندما يرتقي إلى درجة أعلى، يرتقي الى مفهوم أو معنى جديد له، ويمكن أن يطلق عليه اسم «الاستضافة» أو «الضيافة»، وهذا لا يعني تلاعب بالدلالات اللغوية أو مجرد لعب بالكلمات، أو ترادف لغوي، وإنما هو يعتمد على بناء فكري كامل(1) خاص به يتعلق بالتفاعل بين ما هو أخلاقي وما هو سياسي، ويتركز حول الإلتزام الخصوصي والمبدئي الذي يحمله كل واحد منا إزاء الآخر، حتى لو كان هذا الآخر غريبا غربة كاملة، ولم توجه إليه الدعوة، ولم يكن مُنتظرا، ولكن ينبغي قبوله قبولا كاملا، غير مشروط باعتباره زائرا ومقيما؛ «فأستقبلك وأستضيفك بشكل مطلق ودون شروط». فهو يتمتع بكامل الحرية وكل الحقوق بوصفه صاحب البيت والأرض والإقليم، لا ينازعه أحد في أي حق من حقوقه، بحيث أصبح هنا الإنسان المتسامح هو مجرد إنسان محسن وفاعل الخير فحسب، ويرفض مفهوم التسامح المحدود أو عبارة سقف التسامح التي شاعت في المجتمعات الغربية مؤخرا، التي كانت تعني وتصف «الحد الأقصى الذي لا يمكن بعده أن نطالب أي جماعة قومية بأن ترحب بالمزيد من الآخرين الأجانب، أو المهاجرين ومن يشبههم». وهذا كله يرجع إلى الاعتبارات الدينية، حيث أن التسامح في التراث الغربي لم يكن له مدلول سياسي أو اجتماعي، وأنه كان يشير فقط إلى الفضيلة المسيحية، وأكد أن الشخص المتسامح هو الأرقى مكانة اجتماعيا، وهو الأقوى أيضا، الذي له القدرة على النفي والإبعاد، بل إن من حقه أن يستبعد الآخر، الأضعف والأقل مكانة، وأن ينفيه، ولا يرى لهذا الآخر -الاثني والثيولوجي- أي حقوق، ولكنه بصفته «فاضلا متدينا» يتسامح فيمنح الآخرين ما يراه من حقوق كما يريد، ويملك الحق في أن يسحبها متى يشاء وفي أي لحظة.

ولقد تبين لبعض مفكرين العرب والنقاد(2) هذا التوجه في التسامح الذي أراد أن يكون مبالغا فيه، لكن الفيلسوف يظهر أنه لا يفعل أكثر من تقديم «فكرة وعظية»، تبدو بالرغم من أخلاقيتها أقل قيمة وأقل تأثيرا بكثير من معنى التسامح الذي رفضه في البداية، لأنه رآه مجرد فضيلة أخلاقية، وسوف ندرك أن «دريدا» قد بالغ كثيرا في الزيادة من قدرات المضيف «صاحب البيت»، وهو نفسه «المتسامح القديم»، بينما يتهيأ لنا منذ الوهلة الأولى، أنه زاد في قيمة الضيف، لكن الواقع يبين لنا أنه أضعف كثيرا من الحقوق المقررة المؤكدة له هو الضيف، الزائر، الآخر، ولم يقدم لهذه الحقوق أي ضمانات أكثر من سماحة صاحب البيت. هكذا، ساهم فيلسوفنا دريدا برفض وتقويض وتفكيك صورة الضيافة التي رسمتها فلسفة الأنوار الممثلة لعصر العقل في القرن الثامن عشر، وذالك عن طريق إعادة بناء مفهوم التسامح ومحاولة رسم مبدأ التسامح.

---

1 البناء الفكري الكامل يذكرنا بالفكر البنيوي الذي يوحد كل العناصر وهاهو المفكك يجمع عناصر مثل السياسية الاخلاق والعرف والقانون الاجتماعي...وهذا يدل على النسقية والنهج البنيوي وللمزيد من التفاصيل حول المنهج البنيوي ارجع الى د.بن ديدة مختار البنيوية من المنهج الى التفكيك مجلة الآداب والعلوم النسانية جامعة جيلالي ليابس –سيدي بلعباس- العدد 4 السنة 2004 2005/ص: 230

2 أمثال الناقد العربي «سـامي خشبـة»وللمزيد من التفاصيل ارجع الى: بركات محمد مراد الحوار المعاصر مع الغرب والمقتضى - مجلة العربي وهي شهرية ثقافية توزيع وزارة الإعلام بدولة الكويت للوطن العدد 645 - 8/2012... وكذالك ارجع الى: أ.د بن مزيان بن شرقي في كتابه، الضيافة

وبفضل إسهامات الفلاسفة، تخلصت الثقافة الغربية نهائيا من عاهات الاستعلاء العنصري العرقي، والتمييز الطائفي والديني والطبيعي، ولقد أشار بعض مؤرخي الثقافة الغربية أن صياغت ثقافة مبدأ التسامح، ستزيح بواسطته جميع أنواع التمييز بين البشر، خاصة أن مواثيق ودساتير- المجتمع الدولي الغربي - جسدت مبادئ ثوراته - السياسية والاجتماعية الكبرى - في صياغات لغوية متعددة، وما شعار الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر «الحرية والأخوة والمساواة» إلاّ دليل على تأكيد اعتناقها لهذا المبدأ المتمثل في التسامح، وكل ذالك راجع غلى الغياب الكامل لمعاني»مبدأ التسامح» عن «الخطاب الفلسفي» الغربي المعاصر في ثقافة بحثه عن جذور وأسباب وجود العنف السياسي والاحتجاجات الاجتماعية العنيفة في عصرنا، وذلك بالصورة التى يتجلى بها هذا الخطاب الفلسفي في الحوار الحضاري، بمعنى ابتعاد الواقع التاريخي الغربي الفعلي - السياسي والاجتماعي - وابتعاد ممارساته عن ثقافته وغياب معاني هذا المبدأ أي «مبدأ التسامح». مثل الحوار الذي أجرته الفيلسوفة الأمريكية»جيوفانا بواردوري» مع الفيلسوفين الأروبيين الكبيرين «جاك دريدا» الفرنسي، و»يورجن هابرماس» الألماني، ولهذا الغرض كان الفيلسوف «روجيه جارودي» يدعو دائما الغرب إلى التخلي عن غروره وغطرسته، وعليه أن يؤسس لحوار مع الحضارات الأخرى، وبخاصة «حضارة القرآن» التي لا شك أن الحوار معها سوف يعود على الغرب وحضارته بفوائد لا تحصى، أقلها تخليص العالم من مركزية الغرب وأبعاده الأحادية، وإخراج الغرب ذاته من سجن مركزيته التي سجن نفسه بها إلى آفاق الثقافة العالمية[1].

ويرفض دريدا التسامح الذي له طابع إحساني، رغم أنه جاء وفقا لما نزلت به الأديان، وواقعيا تغيب فيه معاني المساواة والإخاء والعدل، حيث غاب العدل المتكافئ لجميع البشر وغابت المساواة وساد التمييز في هذا الخطاب الفلسفي الغربي، كما سيغيب معني الإخاء الذي تأثر بالواقعية التاريخانية للعقل الغربي من جهة، والتحديد الواضح لمعنى التسامح، الذي قدمته المنظمة العربية لمناهضة التمييز في وثيقة مبادئها وأهدافها من جهة أخرى، والذي جاءت به الفلسفة الميثالية الغربية وخاصة في عصور إستنارتها، ذالك تقنين معنى التسامح جاء وفقا لما نزلت به التعاليم الدينية رغم مقاومتها للواقع الذي هو في تعارض دائم مع نتائج التاريخ الفعلي: تاريخ العداوة مع الذات والعدوان على الغير، السيطرة والاستعمار، التسلط والظلم.

طبيعة الائتلاف وثقافة الاختلاف:

هناك مفارقة عقلانية هي التي جعلت فيلسوف التفكيك ينتقل من فيلسوف التسامح إلى فيلسوف التمسك، لكن التمسك بماذا؟ وكيف نتسامح؟ ومع من؟

إنه التمسك القائم على الالتزام الضروري، إن لم نقل الدوغمائي بسلوك ثقافي معين وبمنهج نقدي معين، ولقد تم التفاعل بين فيلسوفنا الملتزم اجتماعيا وسياسيا والملتزم منهجيا (الالتزام التفكيكي)، بحيث استخلصنا أن ثقافته مبنية على أساس أن الاختلاف مفهوم طبيعي، وأن من الواجب أن نؤمن بان الائتلاف له طابع ثقافي[2]

1 بركات محمد مراد: مرجع سبق ذكره وارجع كذالك الى جيوفانا بواردوري مرجع سبق ذكره ص: 65

2 علي حرب مرجع سبق ذكره

. وهنا، يجب الإشارة غلى سقوط الفيلسوف في عقلانية التمركز نحو الذات، لكن ليست الذات التي تميزت بها الفلسفات الكلاسيكية المتشكلة في الذات العارفة (إنسان العلم)، وإنما في فلسفة الذات التي يجب أن تدرك أن الحضور الأثروبولوجي للثقافة وللمفكر هي التي تحدد منهجه في الحياة وتنير له طريقة التفكير، وهذا ما جعل دريدا يميل إلى الكتابة الأدبية، ولاحظنا دائما حضور ثقافة نقده الأدبي في تنظيره الفلسفي، من جهة، وحضور نظرية التسامح الفلسفي في سلوكه السياسي، من جهة أخرى، الذي عبر عنه بمجموعة مواقف شجاعة وبناءة.

إن هذا الالتزام السياسي وهذه المواقف الشجاعة لدى الفيلسوف جاك دريدا، هي التي غيرت فلسفته وشكلت كتاباته ونصوصه على الشكل المونولوجي ذي الطابع الأسطوري الجنوني إلى حد ما، لأنه مرتبط بتاريخه ومتمسك بثقافته[1]، وبالتالي فان فلسفته في تفسير فعل التسامح ومعنى الضيافة قائمة على العمق الأنثروبولوجي واللاشعور السياسي[2]، والائتلاف في طبيعة العلاقة جدلية التقويضية بين الكلام والكتابة[3]، وهذا يدل على تأثير سلوكه الانساني في طريقة تفكيره على أساس مبادئ مثل: الالتزام، التسامح، الشجاعة الأدبية...الخ. وكذلك العكس، المتمثل في تأثير نظريته في المعرفة على حياته كإنسان لكنه ليس أي انسان عاديا كائنا من كان.

من التفكيك الأنثروبولوجي إلى النقد الإبستيمولوجي:

لابد أن نميز بين أنثروبولوجية التفكيك والتفكيك الأنثروبولوجي، باعتبار أن هذه الأخيرة، تتناول دراسة شخصية الفيلسوف وإطاره الثقافي والتعمق في تحليل كتاباته وأفكاره سوسيو-أنثروبوموجيا، أما الأولى فهي تهتم بالدوافع الثقافية التي أدت إلى الغوص في فلسفة التفكيك كمفهوم من جهة، وكمنهج من جهة ثانية، وكأننا نميز بين بعدين أو إطارين ابستيمولوجيين؛ الإطار الفلسفي للدراسات الأنثروبولوجة، والبعد الأنثروبولوجي للدراسات الفلسفية.

وكما سبق وأن تساءلنا، عن إمكانية التمييز بين جاك دريدا الفيلسوف الممنهج الذي وقف في وجه البنيويين، وباعتباره فيلسوف ما بعد الحداثة، في حين كان بنيويـــا في حياته ونسقيـــا في ثقافته؛ بداية بالجمع بين هذه الأقطاب الثلاثة: الأدب، والفلسفة والسياسية، وصولاً إلى قانون الضيافة والالتزام بالسياسة وسياسة التسامح الفعلي، مروراً بما أكده بعض النقاد الذين يعتقدون أن التفكيك الذي جاء به دريدا يعدُّ انتقالاً من التمركز حول العقل إلى التمركز حول الكتابة[4]، وهذه ليست ملاحظة بريئة، ولابد من

1 ترتكز الأصول الثقافية عند جاك دريدا على الانساق الفيلو-أنثروبو-تاريخية: اي الاعتماد على منطق التفكيك في منهجه النقدي، الخبرة الثيولوجية في عملية التاويل، الأصل الإثني في التزام السلوك السياسي والاجتماعي، وهذا كله يجع الى عاملين: اسلوب التقويض، وعامل اللاشعور السياسي.

2 مصطلح اللاشعور السياسي لــ» الـدكتور محمد عابد الجابري» في كتابت نقد العقل السياسي الفصل الأول، وكذالك ارجع إلى رجيس دي بروي. critique de la raison politique (REGIS DEBRAY)

3 Jacques Derrida « L'écriture et la différence » puf paris pp 135 139 et voir aussi « La voix et le phénomène »-l'introduction

4 سيف العقل الذي اغتال الالوهية في العصر البنيوي وما قبله في الفلسفة منذ افلاطون الى هيجل عوض في عصر ما بعد البنيوية-

التعبير عن دلالتها قبل التحليل والتفسير، أين نجد ذالك الإنسان الفيلسوف الأديب المثقف المتمسك بأصوله العرقية والدينية والتي تعدّ من جذوره الأنثروبو- ثقافية، حيث رأى العديد من دارسيه أنه علاوة على بناء فلسفته على النقد والتجاوز ووضع المفاهيم الجديدة كالهدم وإعادة البناء، أثبث وجوده مرة أخرى، عندما جمع بين هذه الاقطاب الثلاثة التي من المستحيل الفصل بينها إلاَّ على سبيل التخيل[1] ، لأنها تمثل جوهر الانتقال من الإنسان العارف إلى الباحث الأنثروبولوجي الفلسفي، والبحث فيما يجب أن يكون رغم أنه ينفي القراءات والتأويلات القائمة على الأحكام التقيمية والمسبقة، والانفتاح عن الممكن والتجديد اللاأحادي للقراءات التي تهدف إلى تحرير الفكر من غطرسة النسق وأوهام البنية واللاشعور الفينومينولوجي الهوسرلي، وذالك بمحاولة تطبيق المنهج الفرضي الاستنباطي الهادف إلى الانفتاح عن الغائب، والحاضر القابل للتغيرات بالمعنى الإبستيمي لمفهوم التفكيك.

خلاصـة

لابد من ذكرا أن فيلسوف النقد الأدبي جاك دريدا رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة ترك وراءه إنتاجاً فلسفيًا ضخماً عبّر فيه عن نقده الأدبي أولاً، وعن أصوله الفلسفية ثانيًا، ثم عن مواقفه السياسية ثالثًا . وهذا كله يمثل البعد الأنثروبولوجي لفلسفته الجديدة خاصة في بداية التفكيكية / التقويضية التي انطلقت من كتاباته ومحاضراته التي دشّنت حركة ما بعد البنيوية من خلال كتبه الثلاث التي أصدرها عام 1967، ونظريته إذا جاز لنا أن نسميها نظرية، لِمَ لا، وهو رائد المدرسة التفكيكية في النقد، مع العلم أنه يهودي الديانة فرنسي الجنسية ومن أصل جزائري، اشتهر في السنوات العشر الأخيرة شهرة عالمية، بعد أن كان له وزنه العلمي في الأوساط العلمية والفلسفية الأوربية. وتعتبر مدرسته واحدة من أهم المدارس عند بعض النقاد والباحثين.

المصادر والمراجع:

1. جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، توبقال . ط الاولى المغرب 1988.
2. ، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، توبقال، ط1، المغرب، 1988.
3. عبد الوهاب المسيري والدكتور فتحي التركي (مؤلف مشترك)، الحداثة وما مبعد ألحداثة، دار ألوعي- الجزائر ط2، سنة 2012.
4. سيّار الجميل ديريدا رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة --نشر هذا المقال في الموقع لمناسبة رحيل

بسيف القلم او الكتابة الذي سيقتل العقل عن طريق منطق التفكيك والتقويض والبعثرة... وللمزيد من التفاصيل. ارجع إلى: .cours de « philosophie leçon sur DERRIDA « Déconstruire la finitude

1 يرى العديد من دارسي جاك ديريدا انه اثبث وجوده عندما جمع بين الادب والفلسفة والسياسة، كثلاثة اقطاب حيث لا تنفصل عنده إلا بالوهم ارجع الى د سيّار الجميل ديريدا رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة –مرجع سبق ذكره وارجع كذالك الى «الدكتور مراد قواسمي» دريدا قلق السيرة الذاتية مرجع سبق ذكره,,, « كما يمكن اضافة بعد ثالث الذي شكلته ثقافته ومتمثل في تكوينه انثروبو-فلسفي بمفهوم الفلسفة المعاصرة حيث تحول من فلسفة انسان العلم

philosophie de l’homme de science ...الى علم الانسان الفلسفي l’anthropologie philosophique وكذالك ارجع الى:Jacques Derrida«Foietsavoir» وكذالك:http://www.elaph.com/ElaphLiterature/200414836/10/ .htm#sthash.DAN4UvJ7.dpuf

فيلسوف النقد الأدبي جاك دريدا.

5. ريتشارد كيرني، جدل العقل- حوار آخر القرن، ت: الياس فركوح وحنان شرايخة، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب ط1، سنة 2005.

6. علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط،1 سنة 1993.

7. أكسيل هونيث، كتاب التشيؤ، ت: ت كمال بونير، الجزائر ط1، سنة 2013.

8. فطوس (بسام)، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطبع، ط1، الإسكندرية، 2006.

9. كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانك فورت، -الجزائر، ط1، السنة 2012.

10. «كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، ترجمة: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

11. غراندل (جان)، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: د.عمار مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، 2007.

12. بركات محمد مراد، الحوار المعاصر مع الغرب، مجلة العربي، شهرية ثقافية توزيع وزارة الإعلام بدولة الكويت للوطن العدد 645 – 2012.

13. محمد عابد الجابري، نقد العقل السياسي، مركز دراسات الوحدة العربية، .1981

14. مراد قواسمي، دريدا قلق السيرة الذاتية، مجلة اللغوس العدد التجريبي، سنة 2011.

15. بن ديدة مختار مقال « البنيوية «، من المنهج إلى التفكيك، مجلة الآداب والعلوم الإسانية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، العدد 4، السنة 2004 2005/.

16. Regis DEBRAY: « critique de la raison politique » Ed plon 1980.

17. Jacques Derrida « L'écriture et la différence » puf Paris 1990.

18. « Foi et savoir » Ed ; puf Paris 2002.

19. Gilbert Durand *Les Structures anthropologiques de l'imaginaire*, 1re édition Paris, P.U.F 1960).

20. Jacques Derrida « Foi et savoir » Ed ; puf Paris 2002.

http: //www.elaph.com/ElaphLiterature/2004/10/14836.htm#sthash.DAN4UvJ7.dpuf